معالم القراءة والإقراء في العهد النبوي
من خلال شرح القصيدة الخاقانية للإمام الداني

دكتور/ كامل بن سعود العنزي
أستاذ علم القراءات المساعد
كلية التربية- جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، وصلى الله وسلَّم على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه الميامين، وعلى كل من تبعه وسار على منهاجه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فإنَّ القرآن الكريم حبل الله المتين، ونوره المبين، وقد بلَّغه النبي – صلى الله عليه وسلم- كما أُنزل إليه من ربه، وقرأه على النَّاس على مكث ورتَّله، وتناقلته الأمة المحمديَّة جيلاً بعد جيل، وطبقة بعد طبقة؛ حتى وصل إلينا محفوظًا من التغيير والتبديل، ومصونًا من التحريف والتعديل.

ولإقراء القرآن وتعليمه مناهج وطرائق، وهي تختلف باختلاف حال الآخذين، ومن أجمع المؤلَّفات الأصيلة التي تناولت هذا الموضوع بالبيان والتفصيل، والإيضاح والتدليل: شرح القصيدة الخاقانية[1] للإمام المقرئ الشهير، والعالم المسند النِّحرير أبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيِّ[2].

---

(١) هذا الشرح حققه الباحث الشيخ: غازي العمري في رسالة علمية على ثلاث نسخ خطيَّة، ونال بها درجة الماجستير من قسم الكتاب والسنة في جامعة أم القرى بمكة المكرَّمة سنة(١٤١٨هـ)، ثم حققه الأستاذ: خليل أبو عنزة- من الأردن- على نسخة واحدة ناقصة، وهو منشور على الشبكة المعلوماتية، وحققه- أخيرا-: أ. فرغلي عرباوي، وطبع سنة(١٤٣٦هـ)، وأفاد في عمله من سابقيه، وقد اعتمدت في بحثي على التحقيق الأول؛ لأنه أتم وأحكم، وأجمع وأنظم.

(٢) هو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، والمعروف في زمانه بابن الصيرفي، أحد أعلام الإقراء، ومشاهير أهل الأداء، وصاحب المؤلفات الكثيرة المعتمدة، ولد سنة (٣٧١هـ) ونشأ في قرطبة، وارتحل إلى المشرق، وأخذ عن كبار الشيوخ فيه، ثم عاد إلى الأندلس، وأقام بدانية، وانتفع الناس به كثيرا، وبها توفي سنة(٤٤٤هـ). انظر: معرفة القراء (٢/٧٧٣-٧٨١)، غاية النهاية (١/٥٠٣-٥٠٥).

وهذا الكتاب في أصله شرحٌ لقصيدة الإمام أبي مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني[١] التي قالها في القرَّاء وحسن الأداء، وهي رائيَّة تتألَّف من واحد وخمسين بيتًا، تناول الخاقانيُّ في أبياتها عدَّة قضايا تتعلق بأصول القراءة والإقراء، وأحكام التجويد والأداء.

وتعدُّ هذه القصيدة أول محاولة لتدوين موضوعات علم التجويد والأداء مستقلَّة عن غيرها من العلوم؛ فلم يسبقها إلى ذلك نظم ولا نثر، وهذا ما أشار إليه الإمام ابن الجزري[٢] في معرض ترجمته لأبي مزاحم بقوله: (هو أوَّل من صنَّف في التجويد– فيما أعلم–، وقصيدته الرائية مشهورة، وشرحَها الحافظ أبو عمرو)[٣].

وقد نالت القصيدة الخاقانية عند أهل الفن القبول، وحازت لديهم الوصول، وهذا ما أشار إليه الإمام الداني في صدر شرحها بقوله: (والذي دعانا إلى شرح هذه القصيدة، وتلخيص معانيها؛ ما رأيناه من استحسان العامة والخاصة لها، وشدة ابتهال أهل القرآن بها، وأخذهم أنفسهم بحفظها، وما وقفنا عليه من إتقان صنعتها، وحسن بهجتها، وتهذيب ألفاظها، وظهور معانيها، وسلامتها من العيوب، ووفور حظِّها من الجودة..)[٤].

---

(١) هو الإمام موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان البغدادي، عالم كبير، ومقرئ شهير، وحافظ مجود، ولغوي بارع، ولد سنة(٢٤٧هـ)، وأخذ عن كبار علماء عصره، وجلس للإقراء والتحديث والإفادة، وكثر تلاميذه والآخذون عنه، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة(٣٢٥هـ). انظر: معرفة القراء(٥٥٤/٢)، غاية النهاية(٣٢٠/٢-٣٢١).

(٢) هو الإمام أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي، والمعروف بابن الجزري، عمدة المقرئين، وشيخ المحررين، ولد سنة (٧٥١هـ) بدمشق، ونشأ بها، وأخذ علم القراءات عن جماعة بها وبمصر، واشتد تعلقه بهذا العلم فألف فيه المؤلفات الجامعة النافعة؛ مع اشتغاله بعلوم أخرى كالفقه والحديث، وتوفي بشيراز سنة (٨٣٣هـ) انظر: غاية النهاية (٢٤٧/٢-٢٥١)، الضوء اللامع (٢٥٥/٩).

(٣) غاية النهاية(٣٢١/٢)، وذكر د. أشرف فؤاد طلعت في كتابه: بشرى السعيد بمصنفات علم التجويد(ص١٥) مصنفا في علم التجويد قبل قصيدة الخاقاني، وهو لأبي محمد إسحاق بن أحمد الخزاعي المكي (ت٣٠٨هـ)، وهذا الكتاب في حكم المفقود لم يصل إلينا، والمشتهر هو أن القصيدة الخاقانية هي أول مؤلف في علم التجويد؛ فلم يسبقها نظم ولا نثر، وقد نقل الإمام الداني عن شيخه فارس بن أحمد أبياتا للخاقاني من خارج هذه القصيدة تدل على أسبقيته إلى التأليف، وهو قوله:

قد قلتُ قولا ما سبقت بمثلِهِ ** في وصف حذق قراءة القرآنِ

وأقرَّه الإمام الداني على ذلك، انظر للمزيد: شرح القصيدة الخاقانية (١٤٩/١، ٣/ ٣٤٨).

(٤) شرح القصيدة الخاقانية(٦/٢).

وشرح الإمام الداني هو أول شرح للقصيدة الخاقانية، وقد أسهب فيه وأطنب، وأجاد وأفاد، وضمَّنه كثيرا من الفوائد السديدة، والنكت الفريدة، ومنها ما يتعلق بباب أوصاف قراءة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وطرائق الإقراء والتعليم النبوي؛ مع العناية الفائقة بإيراد الآثار والمرويات، واستنباط الفوائد والتوجيهات، ونقل فيه من كتب مفقودة لم يشاركه أحدٌ في ذكر بعضها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- معرفة هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- في باب تعليم القرآن، والمأثور عنه في كيفية قراءته وإقرائه.

٢- أهمية شرح القصيدة الخاقانية للإمام الداني، حيث يعدُّ موسوعة ضخمة حوت كثيرًا من الآثار والأخبار في باب أحكام القراءة والإقراء.

٣- مكانة الإمام الداني العالية، ورتبته السامية عند علماء الإقراء، وأهل الأداء، واعتدادهم بأقواله، وتقديمهم لآرائه، وعنايتهم بمؤلفاته.

٤- الاطلاع على آراء مشاهير أئمة الفن الأسلاف والأخلاف في باب أصول القراءة، وطرائق الإقراء.

أهداف البحث:

١- التأسي بالنبي- صلى الله عليه وسلم- في كيفية تلاوة القرآن، ومناهج تعليمه، وطرائق إقرائه.

٢- معرفة مذاهب علماء الإقراء في المسائل المتعلقة بهذا الباب، وفي مقدَّمهم الإمام الداني.

الدراسات السابقة:

يوجد العديد من الكتابات - سواء مفردة أو مضمَّنة- في باب أحكام القراءة، وشروط الإقراء، منها على سبيل المثال:

١-**إقراء القرآن الكريم، منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه** د. دخيل بن عبد الله الدخيل.

٢-**منهج تحمل إقراء القرآن وتحمل القرآن الكريم** أ . معاذ بن عبد الله الطاهر.

٣- **أصول الإقراء وفقه القراء في ضوء القرآن الكريم** د. عبد العزيز السحيباني.

وأحسب أني قد سلكت منهجًا مختلفاً في دراسة هذا الموضوع؛ حيث إن هذا البحث مبنيٌّ على عرض معالم القراءة والإقراء في العهد النبوي من خلال أحد آصل المؤلفات التجويدية، وهو شرح القصيدة الخاقانية؛ مع بيان آراء الإمام الداني واختياراته في هذا الباب؛ إضافة إلى تتبع ما ذكره في كتبه الأخرى؛ خاصة في كتابيه: (التحديد، والأرجوزة المنبهة)، وذلك لشدة الوثاقة بهما، واشتمالهما على كثير من الآثار والأخبار ذات الصلة بالموضوع.

خطة البحث:

قسَّمت البحث – بعد جمع مادته العلمية– إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهرس.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.

والمباحث الخمسة هي كالآتي:

المبحث الأول: تأصيل سنة عرض القرآن.

المبحث الثاني: أخذ القراءة عن المقرئين المجيدين .

المبحث الثالث: أوصاف قراءة النبي– صلى الله عليه وسلم–.

المبحث الرابع: منهاج النبي– صلى الله عليه وسلم– في الإقراء والتعليم.

المبحث الخامس: المقدار القرآني عند التعليم والعرض.

ثم الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث.

وأخيرا فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث :

اصطنعت منهجا في البحث يقوم على الخطوات الآتية:

- اجتهدت– قدر طاقتي– في جمع أظهر المسائل المتعلقة بموضوع القراءة والإقراء في العهد النبوي من خلال شرح الإمام الداني على القصيدة الخاقانية؛ مع الرجوع إلى كتبه الأخرى التي حوت معلومات ذات صلة بالموضوع.
- التزمت كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني وفق رواية حفص عن عاصم، واخترت الإشارة إلى اسم السورة، ورقمها في المتن بين معقوفتين.

● إذا كان الأثر في الصحيحين أو في أحدهما؛ قصرت العزو عليه؛ فإن لم يكن عزوته إلى المصادر الحديثية الأخرى، وفي حال تكرار الأثر في ذات المصدر؛ فإني اكتفي بالعزو إلى أول موضع ورد فيه.

● ترجمت لكل من ذكرت له قولا، أو رأيا في ثنايا البحث ترجمة موجزة عدا الصحابة -رضي الله عنهم-.

والله أسأل الإصابة في القول، والإجادة في النقل، ومغفرة الزلل، وستر الخلل، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين،،،

المبحث الأول

تأصيل سنة عرض القرآن

تلقى النبي– صلى الله عليه وسلم– القرآن مشافهة عن أمين الوحي جبريل–عليه السلام–، وسماعا منه، وقد بلغ من حرصه– صلى الله عليه وسلم– على حفظ واستظهار القرآن، وشفقة عليه مخافة النسيان؛ أنه كان يحرِّك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي، فأرشد الله نبيه– صلى الله عليه وسلم– كيف يتلقى القرآن، وأنزل عليه في محكم كتابه، ومبين خطابه قوله:﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه:١١٤]، وضمن الله لنبيه– صلى الله عليه وسلم– الحفظ والفهم بقوله:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[القيامة: ١٦–١٨].

وكان من شدة تعاهد النبي– صلى الله عليه وسلم– للقرآن مدارسته الحولية له مع جبريل– عليه السلام–، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، والآثار الدالة عليه وفيرة؛ كحديث ابن عباس– رضي الله عنهما– قال:(كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أجودَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقى جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان؛ فيدارسه القرآن، قال: فلرسول الله – صلى الله عليه وسلم–أجود بالخير من الريح المرسلة)[(١)]، وحديث أبي هريرة– رضي الله عنه– قال:(كان يُعرض على النبي– صلى الله عليه وسلم– القرآن في كل سنة مرَّة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عُرِضَ عليه مرَّتين)[(٢)]، وحديث عائشة – رضي الله عنها– وفيه: أنها سألت فاطمة – رضي الله عنها– عن الذي أسرَّ إليها النبي– صلى الله عليه وسلم– به، فقالت: (أسر إليَّ: إنَّ جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنة مرَّة، وإنه عارضني هذا العام مرَّتين، ولا أراه إلا حضر أجلي) [(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، حديث رقم:(٥)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب (كان النبي– صلى الله عليه وسلم– أجود الناس بالخير من الريح المرسلة)، حديث رقم:(٢٣٠٨).

(٢) مسند أحمد، حديث رقم :(٩١٩٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام، حديث رقم:(٣٦٢٤)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة– رضي الله عنهم–، باب فضائل فاطمة بنت النبي– عليها السلام–، حديث رقم:(٢٤٥٠).

(وفائدة درس جبريل: تعليم الرسول- صلى الله عليه وسلم- بتجويد لفظه، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها، وليكون سُنة في حقِّ الأمة) [1].

ومن دلائل سنية عرض القرآن- أيضا-:عرضُ النبي- صلى الله عليه وسلم- القرآن على أبي بن كعب - رضي الله عنه- بأمر من الله-عز وجل-؛ فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال النبي لأبيٍّ: (إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: وسمَّاني؟ قال: نعم؛ فبكى) [2].

قال الإمام الداني:(وهذا الحديث- أيضا- أصلٌ كبيرٌ في وجوب معرفة تجويد الألفاظ، وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها، وأنَّ ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه، وواجبٌ على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويُعلموه؛ اقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم- في ما أُمر به، واتباعاً له على ما أكَّده بفعله؛ ليكون سُنة يتبعها القراء، ويقتدي بها العلماء) [3].

وقد أسهب الإمام الداني في كتابيه(شرح القصيدة، وجامع البيان)في إيراد الآثار والأخبار الدالة على وجوب تلقي القرآن من أفواه الرجال، وسنية عرضه، ومنها قوله:

(أخبرنا الخاقاني، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أحمد، قال: حدّثنا يوسف بن جعفر، قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن محمد بن السَّري، قال: حدثنا سالم بن منصور عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنه قال لمالك بن أنس: لم قرأتم في ص: ﴿نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص:٢٣]موقوفة الياء، وقرأتم في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[الكافرون:١]﴿وَلِيَ﴾[الكافرون:٦]منتصبة الياء؟فقال مالك: يا أهل الكوفة لم يبق لكم من العلم إلّا كيف ولم، القراءة سُنة تؤخذ من أفواه الرجال، فكن متّبعا ولا تكن مبتدعا) [4].

---

(١) الكواكب الدراري للكرماني(٥١/١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ﴾ حديث رقم: (٤٩٥٩)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، حديث رقم: (٧٩٩).

(٣) التحديد(ص٧٩)، وانظر: شرح القصيدة الخاقانية(٤٠/٢).

(٤) جامع البيان(١٤٩/١).

وهذا الأصل قد أشار إليه الإمام أبو مزاحم الخاقاني في قصيدته بقوله:

وإنَّ لنا أخْـذَ القراءةِ سُـنَّةً ** عن الأَوَّلينَ المقرئينَ ذَوي السِّتْرِ[١]

يقول الإمام الداني في شرحه:

(عرضُ القرآن على أهل القراءة المشهورين بالإمامة، المختصين بالدِّراية، سُنة من السُّنن؛ التي لا يسعُ أحدا تركها رغبة عنها، ولابد لمن أراد الإقراء والتصدر منها، **والأصل في ذلك:** ما أجمع العلماء على قبوله، وصحة وروده، وهو: عرضُ النبي – صلى الله عليه وسلم– على جبريل –عليه السلام– في كل عام، ثم عرضه على أبيٍّ بن كعب، وعرض أبيٍّ عليه، وعرض غير واحد من الصَّحابة على أبيٍّ، وعرض الصَّحابة بعضهم على بعض، ثم عرض التابعين، ومن تقدَّم من أئمة المسلمين جيلا فجيلا، وطبقة بعد طبقة إلى عصرنا هذا) [٢].

وأنشد في أرجوزته المنبهة قوله:

واعلمْ بأنَّ العَرْضَ للقرآنِ ** على الإمامِ الفَاضلِ الدَيَّانِ

من سُنَّةِ النَّبيِّ والصَّحابةْ ** ذَوِي المحَلِّ وذَوي القَرَابةْ

والتَّابعُونَ بعدُ لم يَعْدُوهُ ** بَلْ من وكيدِ الأَمْرِ قَدْ عدُّوهُ

إذْ كانَ قَد صَحَّ عن الرَّسُولِ ** بِأَنَّه قَرَا علَى جبريلِ

وَقْد قَرَا بالوحْيِ إذ أَتاهُ ** على أُبيٍّ ثمَّ قَدْ أَقْرَاهُ

فأيُّ شَيءٍ بعدَ هذا يُتَّبَعْ ** وَهَل يَرُدُّ الحقَّ إلَّا مُبتَدِعْ

أوجاهلٌ لقولِه لا يُنظَرُ ** إذ هُو في الوَرَى كَمَن لا يُبْصِرُ[٣].

ويقول الإمام الأندرابي [٤]:

(ومما يدل على ذلك– أيضا– أنك لا ترى أحدًا من القرَّاء المعروفين؛ إلا وهو يسند قراءته إلى غيره؛ حتى ينتهي إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ويذكر أنه لم يقرأ

---

(١)القصيدة الخاقانية(بيت رقم: ٧).

(٢) شرح القصيدة(٣٧/٢).

(٣)(ص١٦٦).

(٤) هو الإمام أحمد بن أبي عمر المقرئ، أبو عبد الله الخرساني، والمعروف بالأندرابي، ثقة زاهد عابد عالم بالقراءات، له كتاب الإيضاح في القراءات العشر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم، توفي سنة (٤٧٠هـ) انظر: غاية النهاية (٩٣/١) .

برأيه حرفًا، مثل: عاصم، ونافع، وأبي عمرو، وغيرهم، لم يكن له ذلك، ولو كان له ذلك؛ لاستغنى كل واحد منهم من أن يقول: قرأت على فلان، و قرأ فلان على فلان؛ حتى تنتهي القراءة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-)[1].

وبالحفاظ على سنة العرض والتلقي تواترت قراءة النبي- صلى الله عليه وسلم- عبر الأجيال؛ فكان القرآن محفوظًا بطريق تلاوته كما كان محفوظًا بذاته؛ بل إنَّ الفصل بين طريقة التلاوة وذات القرآن فصلٌ بين متلازمين[2].

يقول الإمام أبو الحسن علي الصفاقسي[3]:

(ومن تأمل ما صح أنه- صلى الله عليه وسلم-كان يعرض القرآن على جبريل- عليه الصلاة والسلام- كل عام مرة، وفي عام نُقلته إلى ما عند الله من الخير والكرامة مرتين، وقراءته- صلى الله عليه وسلم- على أبيٍّ سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ليعلمه- صلى الله عليه وسلم- طريق التلاوة وكيفية القراءة، وليكون ذلك سنة للمقرئين والمتعلمين، وما كان الصحابة يفعلونه من قراءتهم عليه - صلى الله عليه وسلم-، وسماعهم منه، وقراءة بعضهم على بعض، وكذلك التابعون، وتابعوهم حتى وصل الأمر إلينا مسلسلا متواترا، عَلِمَ عِلْم يقين أن من اجتزأ من الكتب، واتَّكل على فهمه وعلمه؛ فقد أساء، وخالف وابتدع، وربما وقع في أمر عظيم، وخطر جسيم) [4].

---

(١) الإيضاح للأندرابي(ص٩٠).

(٢) انظر: المعجزة الكبرى القرآن للشيخ محمد أبو زهرة(ص٤٢١).

(٣) هو الإمام أبو الحسن علي بن سالم النوري الصفاقسي، الإمام المقرىء المحدث المسند المتفنن، وعَلَم القراءات في القطر التونسي، له تآليف كثيرة في فنون شتى منها: غيث النفع في القراءات السبع، وتنبيه الغافلين في تجويد كلام رب العالمين، وتوفي في صفاقس سنة (١١١٨هـ) ـ. انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية(٤٦٤/١)، الأعلام(١٤/٥).

(٤) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين للصفاقسي(ص٣٠) بتصرف يسير.

المبحث الثاني

أخذ القراءة عن المقرئين المجيدين

تلقَّى الصحابة–رضي الله عنهم– القرآن من النبي– صلى الله عليه وسلم– حرفًا حرفًا، ولم يهملوا منه حركة ولا سكونا، ولا إثباتا ولا حذفا، وأتقنوا تجويده وأحكموه، وضبطوه وأتقنوه، وكانوا في حفظه على طبقات مختلفة، ودرجات متنوعة؛ فمنهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه(١).

وقد كان من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم– حثٌّ الصحابة–رضي الله عنهم–على حفظ القرآن، وتحرِّي الإجادة والإتقان، والتَّلقي عن القراء الماهرين؛ كما في قوله– صلى الله عليه وسلم–:(خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة) (٢).

(قال العلماء: سببه أنَّ هؤلاء أكثر ضبطًا لألفاظه، وأتقن لأدائه، وإن كان غيرهم أفقهَ في معانيه منهم، أو لأنَّ هؤلاء الأربعة تفرَّغوا لأخذه منه– صلى الله عليه وسلم– مشافهة، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض، أو لأنَّ هؤلاء تفرَّغُوا لأن يؤخذ عنهم، أو أنَّه– صلى الله عليه وسلم– أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته– صلى الله عليه وسلم– من تقدُّم هؤلاء الأربعة وتمكنهم، وأنَّهم أقعد من غيرهم في ذلك؛ فليؤخذْ عنهم)(٣).

كما كان يثني– صلى الله عليه وسلم– على القرَّاء من الصحابة ويشجعهم؛ ويعرِّف بهم، ويأمر بتقديمهم، وقد جاءت في ذلك أحاديث كثيرة، منها حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: (.....وأقرؤهم لكتاب الله أبيٌّ بن كعب ...) الحديث (٤)، وحديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– أنَّ أبا بكر

---

(١) انظر: النشر لابن الجزري(٢/٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب–رضي الله عنه–،حديث رقم:(٣٨٠٨)، صحيح مسلم، فضائل الصحابة–رضي الله عنهم–، باب فضائل عبدالله بن مسعود وأمه – رضي الله عنهما–، حديث رقم: (٢٤٦٤).

(٣) المنهاج للنووي (١٦/١٧–١٨).

(٤) مسند أحمد، حديث رقم:(١٣٩٩٠، ١٣٩٩١)، سنن ابن ماجه، باب فضائل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فضائل زيد ابن ثابت– رضي الله عنه–، حديث رقم: (١٥٤)، سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، حديث رقم: (٣٧٩١)، سنن الكبرى للنسائي، كتاب المناقب، أبي بن كعب، حديث رقم: (٨١٨٥).

وعمر- رضي الله عنهما- بشَّراه أنَّ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (من سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل؛ فلْيقرأه على قراءة ابن أمِّ عبْد) [١].

قال الإمام أبو الحسن السخاوي [٢]:

(معنى ذلك: أنَّ ابن مسعود كان يرتِّل القرآن إذا قرأ، فأراد النبيُّ - صلى الله عليه وسلم- ترتيل القراءة) [٣].

وجاء عن ابن عمر- رضي الله عنهما-أنه قال: (كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمُّ المهاجرين الأوَّلين، وأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- في مسجد قباء، فيهم أبو بكر، وعمر، وأبو سلمة، وزيد، وعامر بن ربيعة) [٤] أي: أنه كان يؤمُّهم في مسجد قباء قبل مقدم النبي- صلى الله عليه وسلم- المدينة؛لأنه كان أكثرهم قرآنا؛ فأفاد سبب تقديمه للإمامة[٥].

وقد اشتهر جمع من الصحابة- رضي الله عنهم- بإقراء القرآن وتعليمه[٦]، وكثر القرَّاء المهرة من الصحابة، وعُرفوا بذلك واشتهروا، وتفرَّقوا في الأمصار وانتشروا.

ومما يشهد لذلك: مقتل سبعينَ من الأنصار غدرًا يوم بئر معونة كانوا يُسَمَّون القرَّاء، وكذلك كثرة القراء المقتولين يوم اليمامة في أوَّل خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- [٧]، كما اشتهر بإقراء القرآن وتعليمه جمع كبير من التابعين في المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، والذين تلقَّوا القراءة عن الصحابة الأجلاء، ثم قاموا مقامهم في الإقراء[٨].

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم: (٣٥)، سنن ابن ماجه، باب فضائل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فضائل عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-، حديث رقم: (١٣٨).

(٢) هو الإمام علي بن محمد بن عبد الصمد، علم الدين، أبو الحسن السخاوي، علامة دمشق في زمانه، وشيخ قراء أوانه، أخذ القراءات الإمام أبي القاسم الشاطبي وغيره، وأقرأ الناس نيفا وأربعين سنة، وقرأ عليه خلق كثير بالروايات، منهم: شهاب الدين أبو شامة المقدسي، من آثاره: فتح الوصيد في شرح الشاطبية، وجمال القراء وكمال الإقراء وغيرهما، وكانت وفاته سنة(٦٤٣هـ). انظر: معرفة القراء (٤/ ١٢٤٥)، غاية النهاية (١/٥٦٨-٥٧١).

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي(١/٥١٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم، حديث رقم: (٧١٧٥).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر(٧/٢١٦)، عمدة القاري للعيني(٥/٢٢٦).

(٦) انظر: معرفة القراء للذهبي(١/١٢٥-١٢٦).

(٧) انظر: الانتصار للباقلاني(١/١٤٠)، البرهان للزركشي(١/٢٤٢).

(٨) انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة(ص١٦٣-١٦٥)، منجد المقرئين لابن الجزري(ص٩٧).

والناقلون لعلم القراءة والأداء كثيرون في كل عصر، ولا يكادون يحصون في أي مصر، (فأكرم بعلم يتصل سنده برب العالمين بواسطة روح القدس، وسيدنا محمد صفوة الخلق أجمعين، فيا لها من نعمة ما أعظمها ومنقبة شريفة ما أجلها وأجملها) (١).

والتفاضل بين القراء في الأمصار موجود، والتمايز بينهم غير محدود، وقد أشار الإمام أبو مزاحم الخاقاني إلى ذلك بقوله:

فَما كلُّ من يتلُو الكتابَ يُقيمُهُ ** ولا كلُّ مَن في النَّاسِ يُقرئُهمْ مُقْرِي(٢).

يقول الإمام الداني في شرحه: (كلُّ من يحفظ القرآن من المصحف، أو تلقَّنه من معلم عامٍّ ليس له معرفة بالقراءة، ولا دراية بتجويد الألفاظ، إذا لم يعمل نفسه في طلب ذلك من أهله القائمين به، المشهورين بمعرفته، المضطلعين بتأديته؛ فهو غير تال له على صوابه، ولا مقيم له على حدِّه، وإن مهر في حفظ سواده، ومتشابه قصصه؛ لأنه غير عالم بالأصُول التي بمعرفتها يوصل إلى حسن الأداء لتلاوته، وبها يوقف على اليقين من صواب قراءته، وعِلْمُ ذلك لا يتحصَّل، ومعرفته لا تتحقَّق؛ إلا لمن احتذى ما وصفناه، واستعمل ما ذكرناه من المواظبة للدرس، وكثرة العرض على من تقدم وصفه من المقرئين المختصين بمعرفة ذلك، المؤتمنين على نقله وأدائه تلقيا عن أئمتهم، وسماعا من مشيختهم، وكذلك كل مقرئ متصدر إذا اعتمد فيما يقرئ على ما يحفظه من الصحف المبتاعة في الأسواق من غير أن يرويها، ولا يدري حقائق ما فيها من جلي العلم وخفيه، ولم يجالس العلماء، ولا ذاكر الفقهاء، ولا أكثر العرض على القراء، والمتصدرين من أهل الأداء؛ فليس بمقرئ في الحقيقة، وإن كان لقب الإقراء جاريا عليه، واسم التصدر موسوما به؛ لغلبة الجهل على العامة، وأكثر الخاصة..) (٣).

---

(١) غيث النفع للصفاقسي(ص٤).

(٢) القصيدة الخاقانية(بيت رقم: ٦).

(٣) شرح القصيدة (٢٠/٢) بتصرف، وانظر: السبعة لابن مجاهد(ص١٧-١٨)

قال الإمام أبو الفتح جعفر السنهوري[1]-بعد إيراد كلام الداني الآنف-: (فانظرْ - يا أخي- وتأملْ كلام الداني عن أهل زمانه، وطبقته، ومن فوقه- أيضا- فما ظنك بنا، وبأهل زماننا) [2].

وقد أورد الإمام الداني في شرح القصيدة جملة من الآثار والأخبار عن التابعين الأخيار في باب التأكيد على وجوب أخذ القراءة عن الأثبات، والعرض على الثقات، منها قوله:

(أخبرنا عبد العزيز بن جعفر المقرئ قال: حدثنا عبد الواحد بن عمر قال: رأيتُ في كتاب سُليم بن منصور- صاحب سليم بن عيسى- قال: قال لي سليم: (إنما يُقرأ القرآن على الثقات من الرجال، الذين قرؤوه على الثقات) [3].

كما ضمن أرجوزته بابًا في وصف من يؤخذ عنه، وفيه يقول:

فإنْ رغبتَ العرْض للحروف ** والضَّبطَ للصحيح والمعروف
فاقصِدْ شُيوخ العلم والروايةْ ** ومن سما بالفهم والدرايةْ
ممن روى وقيَّد الأخبارا ** وانتقد الطرق والآثارا
وفَهِمَ اللغات والإعرابا ** وعَلِمَ الخطأ والصوابا
وحَفِظَ الخلاف والحروفا ** وميَّز الواهيَ والمعروفا
وأدرك الجليَّ والخفيا ** وما أتى عن ناقلٍ مرويّا
وشاهد الأكابر الشُّيوخا ** ودوَّن الناسخ والمنسوخا
وجَمَعَ التفسير والأحكاما ** ولازم الحذَّاق والأعلاما
وصَحِبَ النسَّاك والأخيارا ** وجانب الأرذال والأشرارا
واتَّبع السُّنة والجماعةْ ** وقام لله بحسن الطَّاعةْ

---

(١) هو الإمام زين الدين أبو الفتح جعفر بن إبراهيم بن سليمان السنهوري القاهري الأزهري المقرئ، ولد بمدينة سَنهور قرب الإسكندرية سنة(ت٨١٦هـ)، وبها نشأ، ثم تحول إلى القاهرة، وقرأ القراءات على كبار شيوخ الجامع الأزهر، وطلب علوم العربية والحديث والفقه والأصول، وتصدر للإقراء والتعليم، وأخذ عنه جماعة؛ من آثاره: الجامع المفيد في صناعة التجويد، توفي سنة (٨٩٤ هـ). انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع(٣/٦٧-٧٠)، معجم المؤلفين(٢/١٣١).

(٢) الجامع المفيد للسنهوري(ص٨٩).

(٣) شرح القصيدة(٢/٢٣-٢٤).

فـــــذلك العـــــالم والإمـــــامُ ** شـــــكراً بِـــــه لله لا يقـــــامُ[1]

وقد نبه كثير من الأئمة الأسلاف إلى أوصاف المقرئ الذي تؤخذ عنه القراءة؛ كما في قول الإمام أبي بكر بن مجاهد[2] في وصف المقرئ الذي يقصد للتعليم والأخذ عنه:

(وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقـل حروفـه...، **فمن حملة القرآن:** المعربُ العَالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللُّغات، ومعاني الكلمات، البصيرُ (**فمن حملة القرآن:** المعرب العالم بوجـوه الإعـراب والقـراءات، العارف باللغات ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار؛ فذلك الإمـام الذي يفزعُ إليه حفاظ القرآن في كلِّ مصر من أمصار المسلمينَ) [3].

وقول الإمام مكي بن أبي طالب[4]: (يجب على طالب القرآن أن يتخيَّر لقراءتـه ونقله وضبطه أهل الديانة، والصيانة، والفهم في علوم القرآن، والنفاذ في علم العربيـة، والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن، وصحة النقل عن الأئمَّة المشهورينَ بالعلم)[5].

وقول الإمام إبراهيم الجعبري[6] :(وكل من أتقن حفظ القرآن، وداوم درسه، وأحكم تجويد ألفاظه، وعلم مبادئه، ومقاطعه، وضبط رواية قراءاتـه، وفهـم وجـوه إعرابـه ولغاته، ووقف على حقيقة اشتقاقه وتصريفه، ورسخ في ناسخه ومنسوخه، وأخذ حظًّـا وافرا من تفسيره وتأويله، وصان نقله عن الرأي، وتجـافى عـن مقـاييس العربيـة، ووسعته ألسنة، وجلله الوقار، وغمره الحياء، وكان عدلا متيقظا ورعا معرضـا عـن

(١) (ص١٦٨).

(٢) هو الإمام أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر البغدادي، المقرئ الأستاذ، شيخ الصنعة، وأول من سبَّع السبعة، مصنف كتاب القراءات السبعة، وتصدر للإقراء، وازدحم عليه أهل الأداء، وفاق نظراءه؛ مـع الدين والحفظ والخير، توفي سنة (٣٢٤هـ). انظر: معرفة القراء(٥٣٣/٢)، غاية النهاية (١٣٩/١-١٤٢).

(٣)السبعة لابن مجاهد(ص٤٦).

(٤) هو الإمام مكي بن أبي طالـب القيسي القيرواني الأندلسي، إمام مقرئ محقـق عـارف، وأسـتاذ القـراء والمجودين، قرأ على أبي الطيب بن غلبون وجماعة آخرين، وأخذ عنه طائفة من الطلاب، وكان من أهـل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، من أشهر آثـاره: التبـصرة فـي القراءات السبع، والإبانة عن معاني القراءات، والرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ الـتلاوة، تـوفي سـنة (٤٣٧ه). انظر: معرفة القراء (٧٥١/١)، وغاية النهاية (٣٠٩/٢-٣١٠).

(٥) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي(ص٨٩).

(٦) هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، عالم بالقراءات، ومن فقهاء الشافعية، له شرح على الشاطبية، والرائية، وغيرهما، توفي سنة (٧٣٢هـ). انظر: معرفة القراء (١٤٦٣/٣)، غاية النهاية (٨/١).

الدنيا، مقبلا على الآخرة، قريبا من الله؛ فهو الذي يرجع إليه، ويعول عليه، ويقتدى بأقواله وأفعاله)[1]، وغير ذلك[2].

ومجمع القول: أن عرض القرآن على المشايخ المقرئين، والمشهورين بالإمامة والرواية، والمختصين بالدراية، أمر واجب لا يجوز تركه، ولا العدول عنه[3]، وله أصلٌ من الهدي النبوي يعتمدُ عليه، ومستندٌ من الأثر يرجع إليه.

المبحث الثالث

أوصاف قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم–.

كان النبي– صلى الله عليه وسلم– يتعاهد أصحابه–رضي الله عنهم– بإسماعهم القراءة أحياناً، وبالاستماع لهم أحياناً أخر، كما كانت قراءة النبي– صلى الله عليه وسلم– للقرآن على مسمع من أصحابه في الصلاة وخارجها.

وقد بيَّن الصحابة– رضي الله عنهم– صفة القراءة النبوية، ونقلوا كيفية التلاوة المصطفوية، وتعدَّدت في نقولاتهم الأوصاف، وتنوَّعت في رواياتهم النُّعوت.

والآثار التي تنعتُ قراءة النبي– صلى الله عليه وسلم– متواترة في كتب الصحاح والمسانيد، ومذكورة في مصنَّفات علوم القرآن والقراءات، وموردة في مؤلفات التجويد والأداء، وقد أفاض الإمام الداني في إسناد الآثار، وإيراد الأخبار التي تنعت القراءة النبوية، وتصف التلاوة المصطفوية، وذلك في كتابيه: شرح القصيدة [4]، والتحديد[5].

ومن جملة الآثار التي أوردها في هذا الباب:

ما روته أمُّ سلمة – رضي الله عنها–تنعت أنَّ قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم– قراءة مفسَّرة حرفاً حرفاً[6]، وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه– لما سئل عن قراءة النبي

---

(١)كنز المعاني في شرح حرز الأماني للجعبري (٢٤٤/١).

(٢) انظر– مثلا–: الدر النضيد في علم التجويد للخابوري(ص٥٥)، منجد المقرئين لابن الجزري (ص ٦٩–٧٠)، الجامع المفيد للسنهوري(ص٨٤–١٠٧)، غيث النفع للصفاقسي(ص٧).

(٣) عمدة القارئين والمقرئين للشقانصي (ص٤٩١).

(٤) انظره: (٩٢/٢–١١١).

(٥) انظره: (ص٦٨–٧٦).

(٦) مسند أحمد، حديث رقم:(٢٦٥٢٦)، سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم–، حديث رقم:(٢٩٢٣)، سنن النسائي، باب قيام الليل وتطوع النهار، باب ذكر صلاة رسول الله–صلى الله عليه وسلم– بالليل، حديث رقم:(١٦٢٩)، سنن أبي داود، باب كيف يستحب الترتيل في القراءة، حديث رقم:(١٤٦٦).

-صلى الله عليه وسلم- قال: كان يمدُّ مدًّا[1]، وجاء في رواية أُخرى عنه: كانت مدًّا، ثمَّ قرأ:﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾يمدُّ بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾، ويمدُّ بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، ويمدُّ بـ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾[2].

وعن حفصة -رضي الله عنها- قالت: (ما رأيتُ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يصلِّي في سُبحته قاعدًا؛ حتَّى إذا كان قبل موته بعام، فكان يصلِّي في سُبحته قاعدًا، فيقرأُ السُّورة، فيرتِّلها؛ حتَّى تكون أطولَ من أطولَ منها)[3].

وهذه الأوصاف ترجع في معناها إلى التأنِّي والتَّؤدة في القراءة، واستعمال الترتيل والترسُّل، وتدلُّ على إخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وهو ما أمر الله به سيِّد أحبابه بقوله في محكم كتابه:﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾[المزمل: ٤].

قال الإمام الداني: (أي: تلبَّثْ في قراءته، وتمهَّل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولم يقتصر- سبحانه- على الأمر بالفعل؛ حتى أكَّده بالمصدر؛ اهتمامًا لشأنه، وترغيبًا في ثوابه)[4].

وعن أم سلمة- رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يُقَطِّعُ قراءته آيةً آيةً[5].

والمراد بالتقطيع آية آية:(يقف على كلِّ آية، وإنَّما كانت قراءته- صلى الله عليه وسلم-كذلك؛ ليُعلمَ رؤوس الآي) [6].

وجاء في حديث عبد الله بن مغفَّل-رضي الله عنه- حيث سَمِعَ النبي- صلى الله عليه وسلم-، يقرأ يوم فتح مكة على ناقته سورة الفتح قراءة ليِّنةً يُرجِّعُ فيها، يقول: (آآآ) [7].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، حديث رقم:(٥٠٤٥).

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، حديث رقم:(٥٠٤٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب باب جواز النافلة قائما وقاعدا، وفعل بعض الركعة قائما وبعضها قاعدا، حديث رقم:(٧٣٣).

(٤) التحديد (ص٦٩).

(٥) مسند أحمد، حديث رقم: (٢٦٥٨٣)، سنن الترمذي، أبواب القراءات، باب فاتحة الكتاب، حديث رقم:(٢٩٢٣)، سنن أبي داود، كتاب الحروف والقراءات، حديث رقم:(٤٠٠١).

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي(٩٨/١).

(٧) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب الترجيع، حديث رقم: (٥٠٤٧).

والمراد بالترجيع: (تقاربُ ضروب الحركات في القراءة، وأصلهُ التَّرديد، وترجيعُ الصوت: ترديدهُ في الحلق، والذي يظهرُ أنَّ في الترجيع قدرًا زائدًا على الترتيل) [١].

وعن عائشة- رضي الله عنها- أنَّها سئلت :كيف كانت قراءة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أيُسِرُّ القراءة أم يجهرُ؟ فقالت:كلٌّ ذلك قد كان يفعله، ربَّما أسرَّ، وربَّما جهر)[٢].

يقول الإمام النَّووي (ت٦٧٦هـ) [٣] في بيان المراد بالإخفاء والإعلان:

(اعلم: أنَّه جاء أحاديث كثيرة في الصحيح وغيره؛ دالة على استحباب رفع الصوت بالقراءة، وجاءت آثار دالة على استحباب الإخفاء، وخفض الصَّوت)[٤].

ويخلص- مما سبق -:

وصفُ قراءته-صلى الله عليه وسلم- بأنَّها: (مرتَّلة، مسترسلة، مقطَّعة آية آية، حسنة الصوت).

وقد نظمها الإمام الداني في أرجوزته المنبهة، حيث قال في باب في نعت قراءة النبي- صلى الله عليه وسلم-:

وَوَصَفَ الصَّدرُ قِراةَ المصطفى ** ونَعَتُوهَا بنعُوت شتَّى
منها قِراةُ المدِّ والتَّقطيعِ ** وَمَقْرأُ التَّرديد والتَّرجيعِ
وذكرُوا بأنَّه قد كَانَا ** يُخفِي وَيُعْلِي صوتهُ أحيانَا
أمَّا قِراةُ المد فهي تُروى ** عن أنس وعن عليٍّ تُحكى
ومقرأُ التقطيع قد روتْها ** هندٌ عن النبيِّ إذ حكتْها
ومقرا الترجيعِ قد حكاها ** ابنُ المغفَّل كما رواها
وكل هذا في المصنفاتِ ** مسطر فيها عن الثقاتِ[٥]

وأما الحدر في القراءة: وهو إدراج القراءة، وسرعتها، وتخفيفها مع تقويم الألفاظ،

---

(١) فتح الباري لابن حجر(٩٢/٩).

(٢) مسند أحمد، حديث رقم:(٢٤٤٥٣)، سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في القراءة بالليل، حديث رقم: (٤٤٩)، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب وقت الوتر،حديث رقم:(١٤٣٧).

(٣) هو الإمام يحيى بن شرف بن مُرّي بن حسن الحزامي، محيي الدين أبو زكريا النووي، الإمام الفقيه الشافعي الزاهد، ومحرر المذهب ومهذبه، وصاحب التآليف القيمة، توفي سنة (٦٧٦هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي(٣٩٥/٨)، طبقات الشافعيين لابن كثير(٩٠٩/١).

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي(ص١٠٤).

(٥)(ص٩٣-٩٤).

وتمكين الحروف[1]؛ فلم يسند الإمام الداني فيه شيئا عن النبي–صلى الله عليه وسلم–.

قال– رحمه الله– في شرح قول أبي مزاحم الخاقاني:

ومَهْمَا حَدَرْنَا دَرْسَنَا فَمُرَخَّصٌ ** لَنَا فَيهِ؛ إذْ دينُ العبادِ إلى اليُسْرِ[2].

(فأما الحدر والهذرمة؛ فلا بأس أن يستعملهما من أراد درس القرآن، وكثرة الختم؛ لكي يكثر حسناته؛ إذ كان له بكل حرف عشر حسنات، ولنزول الرَّحمة عند الختم؛ غير أنهما لا يستعملان إلا بما قدمناه من تقويم الألفاظ، والإتيان بالحروف على هيئتها، وقد وردت أخبار جمة عن غير واحد من الصحابة، ومن بعدهم من الخالفين في استعمال الحدر)[3].

وبعد أن أفاض الإمام الداني في ذكر الأخبار، وإيراد الآثار عن الصحابة والتابعين في جواز استعماله، والرخصة فيه، ختم بقوله:

(وهذا – وما أشبهه– مما رويناه، هو على ما قلناه من الرغبة في كثرة الحسنات، وكثرة الختم؛ إلا أن **المستحسن** عند العلماء لمن أراد ختم القرآن في ليل أو نهار أن لا يختمه في أقل من ثلاث؛ لورود السنة بذلك، والتوقيف عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–) [4].

وأنشد في أرجوزته المنبهة قوله:

والحدْرَ فاستعملهُ إنْ أردتَّا ** مَتَى عَرضْتَ أَو مَتَى دَرَسْتَا

فَقَدْ أَتَى نَصًّا عَن الأَخْيَارِ ** مِنْهمْ أَبُو عَمْروٍ قتيلُ الدَّارِ

وَابنُ جُبَيرٍ وَتَميمُ الدَّاري ** لَكِنْ عَلَى التَّرتيلِ حَثَّ البَارِي

فَالفَضْلُ فِي التَّرتيلِ وَالتَّحقيقِ ** وَالحدْرُ مَا فيهِ إذاً مِن ضِيقِ

لِأن دينَ اللهِ سَهْلٌ يُسْرُ ** كَذَا أَتَى وَمَا عَلَيْنَا إِصْرُ [5]

---

(1) انظر: الإقناع لابن الباذش(٥٥٩/١)، جمال القراء للسخاوي(٥٠/١)، المفيد للمرادي(ص٩٥).

(٢) القصيدة الخاقانية(بيت رقم: ١٤).

(٣) شرح القصيدة(١٠٠/٢).

(٤) شرح القصيدة(١١١/٢).

(٥) (ص٢٠٢–٢٠٣).

ويقول الإمام الأندرابي في هذه المسألة- أيضا-:

(ولم يُحفظْ عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في سرعة القراءة شيء؛غير أن من بعده من الصحابة، والتابعين رأوا ذلك واسعًا غير محظور) [1] .

واختُلِفَ في الأفضل هل الترتيل مع قلَّة القراءة، أم السرعة مع كثرة القراءة ؟

وقد أجاب الإمام ابن الجزري عن ذلك بقوله:

(ذهب بعضهم إلى أن كثرة القراءة أفضل، واحتجوا بحديث ابن مسعود-رضي الله عنه-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (من قرأ حرفًا من كتاب الله؛ فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها..)، ولأنَّ عثمان-رضي الله عنه- قرأه في ركعة، وذكروا آثارا عن كثير من السَّلف في كثرة القراءة، **والصحيح بل الصواب:**ما عليه معظم السلف والخلف، وهو أنَّ الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه، والتفقه فيه، والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه، وقد جاء ذلك منصوصًا عن ابن مسعود وابن عباس-رضي الله عنهم-، وأحسن بعض أئمتنا -رحمه الله- فقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرا، وإن ثواب كثرة القراءة أكثر عددا، فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة، أو أعتق عبدا قيمته نفيسة جدا، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددا من العبيد قيمتهم رخيصة) [2].

وقد توسَّع علماء الأداء في ذكر مراتب القراءة، وبحث أنماط التلاوة، وتعدَّدت وجهات النَّظر بينهم في تقسيماتها، وتسمياتها؛ مع إطباقهم على وجوب التزام أحكام التجويد في المراتب كلها[3].

وأبان الإمام الداني منهاجه في تقسيم مراتب القراءة بقوله:

(والترتيل مصدر رتل فلانٌ كلامه: أتبع بعضه بعضاً على مكث وتؤدة، وهو صفةٌ من صفات التحقيق وليس به، لأنَّ الترتيل يكون بالهمز، وتركه، والقصر لحرف المد، والتخفيف والاختلاس، وليس ذلك في التحقيق، والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط، والتحقيق لرياضة الألسن، وترقيق الألفاظ الغليظة وإقامة القراءة، وإعطاء كل حرفٍ حقه من المد والهمز، والإشباع والتفكيك، ويؤمن معه تحريك ساكنٍ

---

(١) الإيضاح (ص٣٤٤).

(٢) النشر (٣/٥٥١-٥٥٢) بتصرف.

(٣) انظر- مثلا-: الموضح للقرطبي(ص٢١١-٢٢٣)، الإقناع لابن الباذش(١/٢٧٦)، المفيد للمرادي (ص١٣).

واختلاس حركة متحرك، وكتاب الله – تعالى– يقرأ بالترتيل والتحقيق، وبالحدر والتخفيف، وبالهمز وتركه، وبالمد وقصره، وبالبيان والإدغام، وبالإمالة والتفخيم)[١].

وعليه: فمراتب القراءة عند الإمام الداني ثلاثة، هي: الترتيل، والحدر، والتحقيق، والترتيل عند الداني صفة من صفات التحقيق؛ فكلُّ تحقيق– عنده– ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقًا[٢]، وقد دل على ذلك – أيضا– قوله في شرح القصيدة: (الترتيل يستعمل للتدبر والتفكر والاستنباط، وهو جنس من أجناس التحقيق، وليس منه في الحقيقة؛ لأنه يكون بالهمز وتركه، وبالمد والقصر، وبالتخفيف والاختلاس، وليس ذلك في التحقيق)[٣].

وقد وقع خلافٌ بين أهل الأداء في العلاقة بين صفتي الترتيل والتحقيق؛ فجعل بعضهم الترتيل فرعًا عن التحقيق، وعدَّهما آخرون مترادفين، ومنهم من مايز بينهما، ومنهم من استعمل مصطلح (الترتيل) دون التحقيق؛ كقول الإمام أبي معشر الطبري[٤]:

(اعلم أن القراءة لا تخلو من ثلاثة أوجه: ترتيل، وحدر، وزمزمة، – وهي ضرب من الحدر–، والترتيل أولاهنَّ، والترتيل للفكرة والرياضة، والحدر للاستكثار والدراسة، والزمزمة للقراءة في النفس خاصة، وإنما تحمد الضروب– كلُّها– إذا صحبهنَّ التجويد، والتبيين، والتحسين) [٥].

وأكثرُهم استعمل مكانه(التَّحقيق)؛ لأنَّهم رأوا أنَّ (التَّرتيل) صفة تنطبق على الجميع[٦]، كقول الإمام أبي الكرم الشهرزوري[٧]:

---

(١) التحديد (ص٦٩–٧٠) بتصرف يسير.

(٢) انظر: التمهيد لابن الجزري(ص٤٩) .

(٣) شرح القصيدة(٢/٩٢).

(٤) هو الإمام أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي الطبري، مقرئ أهل مكة، إمام عارف محقق، ومصنف التلخيص في القراءات الثمان، وكتاب سوق العروس، وفيه ألف وخمسمائة طريق، توفي بمكة سنة(٤٧٨هـ) انظر: معرفة القراء(٢/ ٨٢٧)، غاية النهاية (١/٤٠١).

(٥) التلخيص في القراءات الثمان (ص١٣٢).

(٦) انظر للمزيد: شرح المقدمة الجزرية د. غانم قدوري(ص٣٥٥– ٣٦٠)، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد له(ص ٤٦٧–٤٨٠).

(٧) هو الإمام أبو الكرم المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان بن منصور الشهرزوري، البغدادي، المقرئ، مصنف المصباح الزاهر في العشرة البواهر، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالعراق، وتوفي سنة(٥٥٠هـ) انظر: معرفة القراء(٢/٩٨٢)، غاية النهاية(ص٢/٣٨).

(اعلم أن القرآن قد قرئ على عشرة أضرب: التحقيق، واشتقاق التحقيق، والتجويد، والتمطيط، والتحزين، والحدر، والترعيد، والترقيص، والتطريب، والتلحين، وذكر بعض الشيوخ أنه لا يجوز للمقرئ أن يقرأ بخمسة أضرب: الترعيد، والترقيص، والتطريب، والتلحين، والتحزين، وأجازوا الخمسة الباقية؛ إذ ليس للخمسة أثر، ولانقل فيها عن السلف) [1].

ومنهم من عدَّ مراتب التلاوة أربعًا، وأكثرُهم ثلاثًا، وذكر بعضهم مرتبة وسطى، وأسموها (التدوير)[2]؛ كما في قول الإمام ابن الجزري في نشره:

(فإنَّ كلام الله- تعالى- يقرأ بالتحقيق، وبالحدر، وبالتدوير - الذي هو التوسط بين الحالتين-، مرتَّلا مجوَّدا بلحون العرب وأصواتها، وتحسين اللفظ، والصوت؛ بحسب الاستطاعة)[3].

المبحث الرابع

منهاج النبي - صلى الله عليه وسلم- في الإقراء والتعليم

الأصل في كيفية تحمُّل القرآن وتلقيه، وإقرائه وتعليمه؛ أخذه -صلى الله عليه وسلم- القرآن مشافهة عن جبريل-عليه السلام-، وسماعًا منه، ومعارضته - صلى الله عليه وسلم- القرآن مع جبريل كل سنة في رمضان، كما جاء في صحيح الأخبار، ومتواتر الآثار، وقد اشتملت تلك المدارسة على نوعي تحمُّل القرآن، وهما:(**العرض، والسماع)**، وهي الأساس في أصالتهما في الإقراء، والنَّقل والأداء.

ويمكن إجمال المنهاج النبوي في الإقراء والتعليم فيما يلي:

أولًا: العرض .

ويعني: القراءة على المعلِّم، وعرض القرآن عليه[4]، وهو سنَّةٌ من سنن خاتم الأنبياء؛ فقد عرض -صلى الله عليه وسلم- القرآن على جبريل-عليه السلام- مرارًا؛ كما في حديث عائشة- رضي الله عنها-: أنها سألت فاطمة- رضي الله عنها- عن الذي أسرَّ إليها النبي- صلى الله عليه وسلم- به، فقالت: (أسر إليَّ: إنَّ جبريل كان

---

(1) المصباح الزاهر (٦٩٦/٢)، وانظر: الإقناع لابن الباذش(٥٥١/١).

(2) انظر- مثلا-: المفيد للمرادي(ص٩٥)، اللآلئ السنية للقسطلاني(ص٥٢)، نهاية القول المفيد للجريسي(ص٢-٢١)، هداية القاري للمرصفي(٢٠٧/١).

(3)(٢٠٥/١).

(4) انظر-مثلا-: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية د. عبد العلي المسئول(ص٤٢٢).

يعارضني القرآن كلَّ سنة مرَّة، وإنه عارضني هذا العام مـرَّتين، ولا أراه إلا حـضر أجلي) [١].

فقوله: **(يعارضني القرآن)** من المعارضة: وهي المقابلة، وفيه دليل صـريح علـى قـراءة النبي – صلى الله عليه وسلم–، وسماع جبريل– عليه السلام– منه، وبالعكس[٢].

يقول الإمام السيوطي [٣]:

(ومما يدلُّ للقراءة على الشيخ عرضُ النبي –صلى الله عليه وسلم– على جبريل – عليه السلام– في رمضان كل عام)[٤].

وقد عرضَ الصحابة– رضي الله عنهم– القرآن علـى النبـي– صـلى الله عليـه وسلم–، فقد رُوِيَ عن معاذ بن جبل–رضي الله عنه– أنه قال:(عَرَضنَا علـى رسـول الله–صلى الله عليه وسلم–؛ فلم يعبْ أحدًا منَّا) [٥].

وممَّا يدلُّ على أصالة هذا المنهاج ومكانته، وعلوِّه وأهميَّته؛ قراءته– صـلى الله عليـه وسلم– على أبي بن كعب– رضي الله عنه–، وقد نقل الإمام الداني بسنده عن عاصـم بـن بهدلة قال: قلتُ للطفيل بن أبي بن كعب: إلى أي معنى ذهب أبوك في قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: **(أُمِرْتُ أن أقرأ عليك القرآن)؟** قال: لِيَقرأَ عليَّ فآخذ ألفاظه[٦].

والصحابة– رضي الله عنهم– منهم من عرض القرآن على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مباشرة بلا واسطة؛ كعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابـت، وابـن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري، وأبي الدرداء، وغيرهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب ، باب علامة النبوة في الإسلام، حديث رقم:(٣٦٢٤)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة–رضي الله عنهم–، باب فضائل فاطمة بنت النبي – عليهـا الـسلام–، حـديث رقم:(٢٤٥٠).

(٢) انظر:: فتح الباري (٤٤/٩)، عمدة القاري (١٥٤/١٦).

(٣) هو الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين، أبو الفضل، إمام محدث مـؤرخ مـصنف متقن، صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة، توفي سنة (٩١١هـ) انظر: الكواكـب الـسائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي (٢٢٧/١)، الأعلام للزركلي(٣٠١/٣).

(٤) الإتقان(٣٤٤/١).

(٥) الانتصار للقرآن للباقلاني(١٤٠/١).

(٦) شرح القصيدة الخاقانية(٤٠/٢)، التحديد(ص٨١).

وقال الحافظ الذهبي[1] في المعرفة- بعد أن ترجم لهم-:(فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وأُخِذَ عنهم عرضًا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة، وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة- كمعاذ بن جبل، وأبي زيد، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعتبة بن عامر-، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم؛ فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة- رضي الله عنهم-، واختصرت أخبارهم) [2].

ومنهم من عرض على بعض المذكورين آنفا، وسار الأتباع على هذا الأساس، وتمسكوا بهذا النبراس، كما في قول مجاهد بن جبر[3]:(لقد عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاثَ عرضات، أَقِفُ عند كل آية أسأله: فيم أنزلت؟ وفيم كانت؟....) [4].

وفي تراجم القراء دلائل على ذلك؛ فقد قال الإمام الداني في ترجمة الإمام ابن كثير المكي:

(... وأدرك من الصَّحابة عبد الله بن السائب- قارئ مكة- وعرض عليه، وكان عبد الله قد عرض على أبي بن كعب، وعرض أبي على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ثم عرض عبد الله بن كثير- بعد ذلك- على أبي الحجاج مجاهد بن جبر مولى قيس بن السائب المخزومي، وعلى درباس مولى عبد الله عباس، وعرض مجاهد، ودرباس على ابن عباس، وعرض ابن عباس على أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعرضا- جميعا- على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-) [5].

---

(1) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين الذهبي، دمشقي من أصل تركماني، إمام شافعي حافظ مؤرخ محدث، انتهت إليه رياسة الإقراء في زمانه، وبرع في الحديث وعلومه، من آثاره: تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، ومعرفة القراء الكبار، توفي سنة (٧٤٨هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٠٠/٩)، البدر الطالع (١١٠/٢).

(2) (١/ ١٢٥-١٢٦).

(3) هو الإمام مجاهد بن جبر الإمام، أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام من التابعين، قرأ على عبد الله بن عباس، وعبد الله بن السائب، ومن أشهر من قرأ عليه عبد الله بن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وطائفة غيرهما، توفي سنة (١٠٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار (١٦٣/١)، وغاية النهاية (٤١/٢).

(4) مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، حديث رقم: (٣١٠٥)، سنن الدارمي، كتاب الطهارة، باب إتيان النساء في أدبارهن، حديث رقم: (١٢٤٦).

(5) شرح القصيدة (٣٧/٢).

وقال– أيضا– في ذكر رجال سند قراءة الإمام أبي عمرو البصري:

(ورجال أبي عمرو جماعةٌ من أهل الحجاز، وأهل العراق، فممَّن قرأ عليه من أهل مكة: أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأبو محمد عطاء ابن أبي رباح، وأبو عبد الله سعيد بن جبير، وأبو خالد عكرمة بن خالد المخزومي، وعبد الله بن كثير الداري، ومحمد بن محيصن السهمي، وأبو صفوان حميد بن قيس الأعرج.

وعرض مجاهد، وعطاء، وسعيد، على عبد الله بن عبَّاس، وعرض ابن كثير، وابن محيصن، وحميد على مجاهد، وعرض ابن عباس على أبيٍّ، وزيد، وعرضا على رسول الله– صلى الله عليه وسلم–) [1].

وقد تناقلت الأمة المحمدية هذا الهدي النبوي، والمنهاج المصطفوي جيلًا بعد جيل، وطبقة بعد طبقة، يقول الإمام الداني:

(فكلُّ قارئ، أو مقرئ أهملَ العرض، واجتزأ بمعرفته، أو بما تعلَّم في المكتب من معلِّمه الذي اعتماده على المصحف، أو على الصحائف دون العرض، أو تمسَّك فيما يأخذُ به ويعلِّمه بما يظهرُ له فيه من جهة إعراب، أو معنى، أو لغة؛ دون المرويِّ عن أئمة القراءة بالأمصار؛ فمبتدع مذموم مخالف لما عليه الجماعة من المسلمين، تاركٌ لما أَمر به رسولُ الله–صلى الله عليه وسلم– قرَّاء القرآن من تلاوته بما عُلِّمه، وأقرئ به...) [2].

ثانيا: السماع .

ويعني: سماع القرآن الكريم من المقرئ المعلِّم بلفظه[3]، وقد أخذ النبي – صلى الله عليه وسلم– القرآن مشافهة عن جبريل–عليه السلام–، وسماعًا منه، كما أرشده الله –عز وجل– إليه بقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾[القيامة: ١٨].

وكان– صلى الله عليه وسلم– يتلو على أصحابه ما نزل عليه من القرآن، ويُعلِّمهم إيَّاه، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

---

(1) جامع البيان(١/٢٣٦) بتصرف يسير.

(2) شرح القصيدة(٢/٣٧).

(3) انظر: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية د. عبد العلي المسئول(ص٢٣٣).

وبالمشافهة تلقَّى الصحابة القرآن، وسمعوه من النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة وخارجها؛ فهذا ابن مسعود-رضي الله عنه- يقول: (والله، لقد أخذت من في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بضعًا وسبعين سورةً..) [1]، وجاء عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال عمر: أبيٌّ أقرؤنا، وإنَّا لندعُ من لحن أبيٍّ، وأبيٌّ يقول: (أخذته من في رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؛ فلا أتركه لشيء) [2].

وحثَّ- صلى الله عليه وسلم- على السماع والأخذ عن أهل الإتقان؛ كما في قوله: (خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة)[3].

وكان القراء في الصدر الأول يقرأ المعلم على المتعلم اقتداءً برسول الله- صلى الله عليه وسلم-[4]، واستعمل هذا المنهاج كثيرٌ من الأئمة الأسلاف؛ خاصَّة عند الحاجة إليه، وقد أشار إلى ذلك الإمام الداني في معرض ترجمته للإمام الكسائي، حيث قال:(سمع الحروف منه جماعة كثيرة من أهل العراق، والشَّام، وخراسان، ودوَّنوا حروفه، وقيَّدوا سماعًا من لفظه، قال خلف ابن هشام: كنتُ أحضرُ بين يدي الكسائي، وهو يقرأُ على الناس، وينقطونَ بقراءته عليهم)[5].

وبعض العلماء لا يقولون بالسماع؛ إلا إذا اقترن بالقراءة والعرض على الشيخ، وذلك للتأكد من ضبط المتلقي وإجادته، وعلى هذا يمكن أن يحمل قول الحافظ السيوطي في الإتقان:

(وأما القراءة على الشيخ؛ فهي المستعملة - سلفا وخلفا-، وأما السَّماع من لفظ الشيخ؛ فيحتمل أن يقال به- هنا-؛ لأنَّ الصحابة- رضي الله عنهم- إنما أخذوا القرآن من النبي- صلى الله عليه وسلم-؛ لكن لم يأخذ به أحد من القراء، والمنع فيه ظاهر؛ لأن المقصود- هنا- كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته بخلاف

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم: (٥٠٠٠)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة-رضي الله عنهم-، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه -رضي الله عنهما-، حديث رقم: (٢٤٦٢).

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من آصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم:(٥٠٠٥).

(3) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب-رضي الله عنه-،(حديث رقم: ٣٨٠٨)، وكتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-،(حديث رقم: ٤٩٩٩)، صحيح مسلم، فضائل الصحابة-رضي الله عنهم-، باب فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنها،حديث رقم: (٢٤٦٤).

(4) انظر:جمال القراء للسخاوي(٥٢٩/١).

(5) شرح القصيدة(٨٦/٢).

الحديث؛ فإنَّ المقصود فيه المعنى أو اللفظ؛ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن، وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ لأنه نزل بلغتهم،ومما يدلُّ للقراءة على الشيخ عرض النبي– صلى الله عليه وسلم– القرآن على جبريل في رمضان كل عام، ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزري لما قدم القاهرة، وازدحمت عليه الخلق؛ لم يتسع وقته لقراءة الجميع؛ فكان يقرأ عليهم الآية؛ ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة؛ فلم يكتف بقراءته)[1].

ولاشك أنَّ الأكمل في تعليم القرآن الجمعُ بين الأسلوبين تأسيًا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– في تعليمه– كما تلقَّى عن جبريل–عليه السلام–، وهو أنفع للطَّالب وأنجع، وأحكم للمتعلِّم وأجمع.

وفي تراجم القراء الأسلاف أمثلة كثيرة على الجمع بين العرض والسماع في التلقي؛ كما في ترجمة حفص بن سليمان الكوفي عند الحافظ الذهبي في المعرفة، وفيها :(حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر الكوفي الأسدي مولاهم، المقرئ الغاضري البزاز، تلميذ عاصم، وابن زوجته ، قال أبو عمرو الداني: قرأ عليه عرضا وسماعا عمرو بن الصباح، وأخوه عبيد بن الصباح، وأبو شعيب القواس، وحمزة بن القاسم، وحسين بن محمد المروزي، وخلف الحداد، ثم سمى أبو عمرو خلقًا سواهم....) [2]، وكقول الإمام ابن الجزري:

(علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الفارسي، إمام مقرئ حاذق، أخذ القراءات عرضًا وسماعًا عن أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، روى القراءات عنه عرضا وسماعا أحمد بن أبي عمر صاحب كتاب الإيضاح) [3].

يقول الشيخ محمد مكي الجريسي في تحرير هذه المسألة [4]:

(الأخذ عن الشيوخ على نوعين، أحدهما: أن يسمع من لسان المشايخ، وهو طريقة المتقدمين، وثانيهما: أن يقرأ في حضرتهم وهم ويسمعونها، وهذا مسلك المتأخرين، واختُلف في الأولى، والأظهر أن الطريقة الثانية بالنسبة إلى لأهل زماننا أقرب إلى

---

(1) (١/٣٤٣-٣٤٤)، وانظر: لطائف الإشارات للقسطلاني(١/٣٧٨).

(2) (١/٢٨٧) بتصرف.

(3) غاية النهاية (١/٥٧٢).

(4) هو الشيخ محمد مكي نصر الجريسي، عالم كبير في التجويد والقراءات وغيرها، من أهل مصر، من مؤلفاته: نهاية القول المفيد في علم التجويد، وهو كتاب مشهور أجاد فيه وأفاد، كان حيًّا سنة خمس وثلاثمائة وألف للهجرة، فيعد بذلك من علماء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. انظر:هداية القاري للمرصفي(٢/٧٢٥).

الحفظ، نعم الجمع بينهما أعلى لما ذكر في المصابيح: أنه جرت السُّنة بين القراء أن يقرأ الأستاذ؛ ليسمع التلميذ، ثم يقرأ التلميذ) [1].

ثالثا:إقراء المتعلمين واحدًا واحدًا.

كان من هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- في إقرائه أن يقرئ أصحابه واحدًا واحدًا، وقد أوضح ذلك الإمام الداني بقوله: (فإذا ابتدأ بالأخذ عليهم، أقرأهم واحدًا واحدًا؛ فبذلك جاءت السنةُ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين استقرأ عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم؛ فأخذَ على كل واحد منهما على الانفراد)[2].

وقد ورد عن بعض علماء الأسلاف إقراؤهم لأكثر من شخص بالتَّزامن، كما نقل ابن خلِّكان[3]عن علم الدين علي بن محمد السخاوي، حيث قال:

(ورأيته مرارًا يركب بهيمة، وهو يصعدُ إلى جبل الصالحين، وحوله اثنان، وثلاثة، وكل واحد يقرأ ميعاده في موضعٍ غير الآخر، والكل في دفعة واحدة) [4].

وقد نقد الحافظ الذهبي هذا المنهج في الإقراء، ولم يستحسنه، حيث قال:

(ما أعلم أحدًا من المقرئين ترخَّص في إقراء اثنين فصاعدًا؛ إلا الشيخ علم الدين، وفي النفس من صحة تحمل الرواية على هذا الفعل شيء، فإنَّ الله- تعالى- ما جعل لرجل من قلبين في جوفه، ولاريب في أنَّ ذلك- أيضا- خلاف السنة؛ لأن الله- تعالى- يقول: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وإذا كان هذا يقرأ في سورة، وهذا في سورة، وهذا في سورة، في آنٍ واحدٍ؛ ففيه مفاسد، أحدها: زوال بهجة القرآن عند السَّامعين، وثانيها: أنَّ كل واحدٍ يشوش على الآخر؛ مع كونه مأمورًا بالإنصات، وثالثها: أنَّ القارئ منهم لا يجوز له أن يقول: قرأتُ القرآن-كله- على الشيخ، وهُو يسمع، ويعي ما أتلوه عليه، كما لا يسوغ للشيخ أن يقول: لكلِّ فرد منهم: قرأ على فلان القرآن- جميعه-، وأنا أسمع قراءته، وما هذا في قوة البشر؛ بل هذا مقام الربوبيَّة، قالت عائشة -رضي الله عنها-:(سبحان من وسع سمعه

---

(١) نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد(ص١٩).

(٢) شرح القصيدة(١٨١/٢).

(٣) هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الإربلي الشافعي، صاحب كتاب وفيات الأعيان، ولقي كبار العلماء، وسكن مصر مدة، كان ذكيا أخباريا عارفًا بأيام الناس، توفي سنة (ت٦٨١هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى(٣٢/٨)، تاريخ الإسلام للذهبي(٤٤٤/١٥).

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان(٣٤٢/٣).

الأصوات)، وإنما يصحِّح التحمل إجازة الشيخ للتلميذ، ولكن تصير الرواية بالقراءة إجازة؛ لا سماعًا من كل وجه)[1].

وذهب الإمام ابن الجزري إلى جوازه، وردَّ على الحافظ الذهبي في نقده، فقال:

(بل في النَّفس مما قاله الذهبي شيء، ألم يسمع؟ وهو يرد على الجميع؛ مع أنَّ السخاوي لا نشك في ولايته) [2]، كما صرَّح بجوازه- أيضا- الإمام السيوطي، حيث قال:

(وتجوز القراءة على الشَّيخ، ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة؛ إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم)[3].

رابعًا: اهتمامه بالاستماع إلى الصحابة وتشجيعهم.

كان من تمام عنايته- صلى الله عليه وسلم- بأصحابه-رضي الله عنهم- أنه لم يكتف بتعليمهم؛ بل كان يتعاهد حفظهم، ويحبُّ أن يستمع إلى قراءتهم، ويثني عليهم ويشجِّعهم، ومن الأمثلة على ذلك:

ما رُوِيَ أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- استمع ليلة لقراءة أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-، وفي اليوم التالي قال له -صلى الله عليه وسلم-:(لو رأيتني – يا أبا موسى-؛ وأنا أسمع قراءتك البارحة، لقد أُعطيت مزمارا من مزامير آل داود، قال أبو موسى-رضي الله عنه-، قلت: أما والله- يا رسول الله- لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا)[4].

ومنه- أيضا- أنَّ ابن مسعود-رضي الله عنه- قال: قال- لي- رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (اقرأْ عليَّ القرآن)، قلت: يا رسول الله: أقرأُ عليك وعليك أُنزِلَ؟ قال: (إنِّي أحبُّ أن أسمعه من غيري)، فقرأت عليه سورة النساء؛ حتَّى إذا جئتُ إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ٤١]، قال: (حَسْبُك الآن)، فالتفتُ إليه؛ فإذا عيناه تذرفان)[5].

وقد استنبط الإمام الداني من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- فوائد جليلة في آداب تلاوة القرآن واستماعه، حيث قال- رحمه الله-:

---

(1) معرفة القراء الكبار (١٢٤٧/٢-١٢٤٨).

(2) غاية النهاية (٥٧٠/١).

(3) الإتقان (٣٤٤/١).

(4) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن،باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، حديث رقم:(٥٠٤٨)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، حديث رقم: (٧٩٣).

(5) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن،باب قول المقرئ للقارئ حسبك، حديث رقم:(٥٠٥٠).

(وفي هذا الخبر الثابت المخرج في الصحيح سننٌ كثيرة؛ يجب على أهل القرآن استعمالها، ويلزم رعايتها، منها:

• ينبغي للقارئ أن لا يفتتح القراءة على الأستاذ؛ حتى يأمره بذلك.

• ومنها: أن لا يقطع- أيضا-؛ حتى يقطع عليه.

• ومنها: أن يكون مرتقبا لإشارة الأستاذ، وما يأخذ عليه، ولا يزيل بصره عنه.

• ومنها: أن الأستاذ يلزمه إذا أراد القطع أن يقول: (حسبك)، أو(حسبنا)، كما قال-صلى الله عليه وسلم- لعبد الله، ولا يجوز له أن يستعمل - عند ذلك- ما يستعمله غير واحد من جهلة المقرئين من قولهم:- عند القطع على القارئ-بس)، أو(بسك)، وشبه ذلك.

• وفي هذا الخبر إيذان بإجازة القطع على المواضع الكافية المفهومة، وإن لم تكن رؤوس عشور، ولا خموس.

• وفيه- أيضا- إطلاق الإباحة للمتصدِّرين أن يأخذوا على أصحابهم ما شاؤوا من نحو الخمسين آية وقربها، وأن يقطعوا عليهم؛ حيث أحبوا من رؤوس الأجزاء، وغيرها من الفواصل.

• وفيه: أن المقرئ يلزمه الإصغاء، والإدامة إلى القارئ، والإنصات له، وإعمال فهمه فيما يتلوه عليه، ويتدبره)[1].

وقد كان عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- يأمرُ من يقرأ عليه وعلى أصحابه، وهم يستمعون؛ فتارة يأمر أبا موسى، وتارة يأمر عقبة بن عامر- رضي الله عنهما-[2].

وعلى هذا المنهاج النبوي المأمون؛ سار سلف الأمة الصالحون.

يقول الإمام النووي: (اعلم:أنَّ جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا، وهم يستمعون، وهذا متفقٌ على استحبابه، وهو عادة الأخيار، والمتعبدين، وعباد الله الصالحين، وهي سنة ثابتة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وقد مات جماعات من الصالحين؛ بسبب قراءة من سألوه القراءة-

---

([1]) شرح القصيدة (١/١٧٨-١٧٩).

([2]) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب(٢/٣٠١).

والله أعلم–، وقد استحب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبي– صلى الله عليه وسلم، ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسر من القرآن)[1].

المبحث الخامس

المقدار القرآني عند التعليم والعرض

بسط الإمام الداني القول في مسألة المقدار القرآني المأخوذ في جلسة الإقراء، وقد أفاد في اختياره في هذه المسألة من منهاج الأسوة الحسنة، والقدوة المستحسنة– صلى الله عليه وسلم– في إقرائه للصحابة، وسماعه منهم، ويمكن تقسيم ما قرَّره الداني في الآتي:

- **المقدار لمن طلب قراءة التحقيق والإتقان؛ ورياضة اللسان، وإحكام البيان:**

اختار الإمام الداني أن لا يزاد في هذه الحال على عشر آيات، فإذا أجاد الطالب التلاوة وأتقن، وضبط القراءة؛ فلا بأس في الزيادة على هذا المقدار، حيث قال في شرح قول أبي مزاحم الخاقاني:

وَحُكمُكَ بالتَّحقيق إن كُنتَ آخِذاً ** عَلى أَحَدٍ أن لا تَزيدَ عَلَى عَشْرِ[2]

(من رغب من القراء أن يأخذَ عليه أستاذه قراءة التحقيق على النَّعت؛ ليصلَ بذلك إلى نهاية التجويد، ففي عشر آيات له كفاية، وفي عرضها له مقنع؛ إلى أن يتقن معرفة الأصول– جليِّها وخفيِّها–، ويخفَّ به لسانه، وتجري عليه عادته، ويتحكم على سائر طبعه، فإذا استوى له ذلك؛ استأهل الزيادة، فليأخذ عليه أستاذه ما أحبَّ، وليزده في العرض ما شاء)[3].

- **المقدار في حال التلقين:**

اختار الإمام الداني في هذه الحال أن لا يزيد الملقِّن على خمس آيات، حيث قال:

(فأمَّا تلقين الأستاذ لمن يلقنِّه؛ فليكن تلقينه على مقدار ما يظهر له من لبِّه، ويقظة صدره، ورسوخه في قلبه؛ فإنَّ النَّاس متفاوتون في ذلك، فإن رأى أنَّه يقوم بخمس لقَّنه إيَّاه، وإن علم أنَّه لا يقوم إلا بدون ذلك؛ فيلقِّنه ما يحتمل من آية، أو آيتين، أو ثلاثة على مقدار طول الآي وقصرهنَّ.

---

(1) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي(ص١١٣–١١٤).

(٢) القصيدة الخاقانية(بيت رقم: ٢٧).

(3) شرح القصيدة(١٧١/٢).

وإن رأى أنَّه يحتمل أزيد من خمس زاده في التَّلقين؛ إلى أن يبلغَ به العشر، ثمَّ لا يزيد على ذلك، وإن احتمله وقام به؛ لأنَّ ذلك غاية في التَّلقين، ولم يبلغنا أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم-لقّن أحدًا من أصحابه فوق عشر آيات.

وقد روينا عن غير واحد من الصحابة، والتابعين، وخالفيهم من أئمَّة المسلمين؛ أنَّهم كانوا يلقِّنون الآية، والآيتين، والثلاث، والخمس، ويأخذون على أصحابهم في العرض الخمس، والعشر، والعشرين، والثلاثين، والأربعين، والخمسين، **والذي أستحسنه - أنا- في التلقين**:أن لا يُزادَ فيه على خمس شيئًا؛ لأنَّه أثبت في الصَّدر، وأخف على الملقن؛ مع ورود الآثار بالحض على ذلك)[1].

وقد اعتمد الداني في اختياره على آثار وأخبار أوردها مسندة في شرح القصيدة[2].

وأشار إلى ذلك- أيضا- الإمام علي السخاوي بقوله:

(كان القرَّاء في الأمر الأول يقرأ المعلم على المتعلم اقتداءً برسول الله - صلى الله عليه وسلم-؛ فإنه كان يتلو كتاب الله -عز وجل- على الناس كما أمره الله -عز وجل-، كذلك كان جبريل -عليه السلام-يعرضهُ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كما قال الله-عز وجل-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ﴾[القيامة: ١٨].

وكانوا يلقِّنونه من يتعلَّمه خمساً خمساً، ويقولون: إنَّ جبريل-عليه السلام- كذلك كان يلقِّنه رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وروى أبو العالية، عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: تعلَّموا القرآن خمساً خمساً؛ فإنَّ جبريل نزل به على النبي -صلى الله عليه وسلم- خمساً خمساً، وحدثنا شيخنا أبو القاسم الشاطبي- رحمه الله- عن ابن هذيل أبي الحسن علي بن محمد عن أبي داود عن أبي عمرو الداني- رحمه الله- ثنا فارس بن أحمد، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو بكر الرازي، ثنا الفضل ابن شاذان، ثنا حفص بن عمر، ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن يونس عن بن أبي رجاء، قال: كان أبو موسى يعلِّمنا القرآن خمس آيات، خمس آيات.

وعن أبي بكر بن عياش- رحمه الله-: لما أتت لي إحدى وعشرون سنة أتيت عاصماً، فأخذت عنه القرآن خمساً خمساً، قال: وأخبرني أنه أخذه على زر ثلاثاً ثلاثاً، قال: فأخبرني أنه أخذه على ابن مسعود آيةً آيةً، قال: فكنتُ إذا فرغت منها يقول لي: خذها إليك؛ فهي خير مما طلعت عليه الشمس، ولهي خير من الدنيا وما فيها، وقال

([1]) شرح القصيدة (٢/١٧١-١٧٢).

([2]) انظر: شرح القصيدة الخاقانية(١٧١-١٧٧)، جامع البيان(١/٢٧٠-٢٧١).

عاصم: تعلَّم يحيى بن وثاب من عبيد بن نضيلة آية آية، وكان والله قارئاً، **فهذه حال التلقين)** [1].

- **المقدار لمن قرأ على شيخه بمرتبة الحدر:**

اختار الإمام الداني في هذه الحال أن لا يزاد على حزب من الأحزاب الستين[2]؛ حيث قال:(فأمَّا من رغب في قراءة الحدر، وقنع بها؛ فلا بأس أن يأخذ عليه الأستاذ ما يرى أنَّه مُحتَمِلٌ له، وقائم به على مقدار إتقان حفظه، ونهاية درايته، وحسن معرفته، ومبلغ فهمه...، **وأستحبُّ للمتصدرين أن لا يأخذوا في العرض أزيد من أجزاء ستين**، فإنَّ ذلك- عندي- نهاية الأخذ، فإن أخذوا دون ذلك؛ فهو أحبُّ إليَّ، وذلك على يرونهُ من حفظ القارئ وتجويده، وحذقه، وموضع لبِّه، وفهمه، ويقظته) [3].

وتقدَّم قول الإمام الداني في تعليقه على حديث ابن مسعود-رضي الله عنه- حين طلب منه-صلى الله عليه وسلم- القراءة، حيث قال:(وفيه- أيضًا- إطلاق الإباحة للمتصدِّرين أن يأخذوا على أصحابهم ما شاؤوا من نحو الخمسين آيةً وقربها، وأن يقطعوا عليهم؛ حيث أحبُّوا من رؤوس الأجزاء، وغيرها من الفواصل) [4].

ولا شكَّ أن مهارة القراءة بالحدر مع الإجادة والإتقان؛ لا يصل إليها القارئ إلا بعد دربة وتدقيق، وعرض وتحقيق.

يقول الإمام الداني في شرح قول أبي مزاحم الخاقاني:

فَذُو الحذْقِ مُعْطٍ للحُرُوفِ حُقُوقَهَا ** إذَا رَتَّلَ القرآنَ أو كَانَ ذَا حَدْرِ [5]

(يريدُ بقوله- هذا-: أنَّ القارئ إذا كان بصيراً بالقراءة، حاذقاً في علم الأصول، كثير الرِّياضة للسانه بكثرة الدَّرس، ويكرِّرُ اللَّفظ بالحروف؛ حتَّى يخرجه من مخرجه، ويلفظ به على حقيقته، فإذا استوت له هذه المنزلة،

---

(1) جمال القراء وكمال الإقراء(٢/٤٤٦-٤٤٧).

(2) أبان الإمام الداني بداية كل حزب ونهايته في كتابه البيان في عد آي القرآن، انظره: (ص٣١٦-٣٢٠).

(3) شرح القصيدة (٢/١٧١-١٧٢).

(4) شرح القصيدة(٢/١٧٩).

(5)القصيدة الخاقانية(بيت رقم: ١٢).

وحصلت له هذه الفضيلة؛ صار غاية في الإتقان، ونهاية في التجويد، فإن حدر قراءته، ولم يرتِّلها؛ أتى في حدره بما كان يأتي به في ترتيله من تمكين الحروف؛ التي لا يكاد أن يمكِّنها مَن لم يكن بالصفة المذكورة) [1].

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنَّ الضابط في تحديد المقدار في الأحوال السابقة؛ إنَّما يكون بحسب قوَّة الآخذ وضعفه، ويحكمه رأي الشيخ بأهليَّة الطالب وإجادته، وفي ذلك يقول الإمام ابن الجزري في النشر:

(وكانوا في الصَّدر الأوَّل لا يزيدون القارئ على عشر آيات، ولو كان من كان لا يتجاوزون ذلك، وإلى ذلك أشار أبو مزاحم الخاقاني؛ حيث قال في قصيدته التي نظمها في التَّجويد- وهو أوَّل من تكلَّم فيه فيما أحسب-:

وحُكْمُكَ بالتَّحقيقِ إن كنتَ آخذًا ** على أحدٍ أن لا تَزِيدَ عَلَى عَشْرِ.

وكان من بعدهم لا يتقيَّد بذلك؛ بل يأخذ بحسب ما يرى من قوَّة الطَّالب قليلًا وكثيرًا؛ إلَّا أن الذي استقر عليه عمل كثير من الشيوخ: هو الأخذ في الأفراد بجزء من أجزاء مائة وعشرين، وفي الجمع بجزء من أجزاء مائتين وأربعين، وروينا الأوَّل عن بعض المتقدمين، وكان الإمام علم الدين السخاويُّ يختاره، والذي قاله: واضح، فعله كثير من سلفنا، واعتمد عليه كثيرٌ ممن أدركنا من أئمَّتنا) [2].

وقال- أيضا- في منجد المقرئين:

(...وله أن يقرئهم ما شاء كثرة وقلة، وأما ما ورد عن السَّلف من أنهم كانوا يقرئون ثلاثًا ثلاثًا، وخمسًا خمسًا، وعشرًا عشرًا لا يزيدون على ذلك، فهذه حالة التلقين، وأمَّا من يريد تصحيح قراءة، أو نقل رواية، أو نحو ذلك؛ فلا حرج على المقرئ أن يقرئ ما شاء، وقد قرأ ابن مسعود على النبي- صلى الله عليه وسلم- من أول سورة النساء إلى قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[الآية: ٤١]، وقال نافعٌ لورش- لما قدم عليه وسأله أن يقرأ عليه-: بت في المسجد، فلما اجتمع عليه أصحابه قال لورش: أبتَّ في المسجد؟ قال: نعم، قال: أنت أولى بالقراءة، فقرأ عليه القرآن -كله- في خمسين يوما، وعلى هذا مضت سنَّة المقرئين.

---

(1) شرح القصيدة (٧٨/٢).

(2) النشر (١٥٧٢/٥)بتصرف يسير.

وقد قرأ الشيخ نجم الدين عبد الله بن عبد المؤمن– مؤلف الكنز– القرآن– كله– جمعا بالعشر على شيخ شيوخنا الإمام تقي الدين بن أحمد الصائغ لما رحل إليه إلى مصر في مدة سبعة عشرة يوما، وقرأت أنا على شيخنا العلامة الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ لما رحلت إليه الرحلة الأولى إلى مصر وأدركني السفر، وكنت قد وصلت عليه إلى آخر (الحجر) جمعا للقراءات السبع ضمن الشاطبية، والعنوان، والتيسير، فابتدأتُ عليه (النحل) ليلة الجمعة، وختمتُ عليه ليلة الخميس في ذلك الأسبوع، وآخر مجلس قرأته أني ابتدأت من أول (الواقعة)، ولم أزلْ حتى ختمت في مجلس واحد ليلًا.

وقدم على دمشق شخص من حلبَ، فقرأ عليَّ القرآن أجمع بقراءة ابن كثير في خمسة أيام متتابعات، ثم قراءة الكسائي في سبعة أيام كذلك) [1].

ولبعض أهل الأداء اختيار في مقدار القراءة في مقام العرض والأخذ، ومن أمثلة قول الإمام الصفاقسي في الغيث:

(وأخبرني شيخنا – رحمه الله– أنه قرأ على شيخه بالمغرب الأستاذ عبد الرحمن بن القاضي للسبعة بمضمن ما في الشاطبية سبعة أحزاب في مجلس واحد، واستقرَّ عمل كثير من الشيوخ على الإقراء بنصف حزب في الإفراد، وبربع حزب في الجمع)[2].

(1) (ص٦٤ – ٦٦).

(2) (ص٢٣).

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحابته الميامين، وعلى أتباعه الأكرمين، وعلى كل سار على منهاجه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فبعون الله -عز وجل- ومنَّته، وكرمه ومنحته فرغتُ من كتابة صفحات هذا البحث ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[هود:٨٨].

وقد حاولت فيه إلقاء الضوء على معالم القراءة والإقراء في العهد النبوي ، وبيان آراء الإمام الداني في أظهر المسائل المتعلقة بهذا الباب، وذلك من خلال ما ورد في شرحه للقصيدة الخاقانية.

وأجمل ما خلصت إليه من نتائج في الآتي:

- تأصيل سنيَّة عرض القرآن الكريم على المقرئين المجيدين، والشيوخ الضابطين.
- كانت قراءة- صلى الله عليه وسلم- موصوفة بأنها:(مفسَّرة، مرتَّلة، مسترسلة، مقطَّعة، حسنة الصَّوت).
- لم يحفظ عنه- صلى الله عليه وسلم- في قراءة الحدر شيء؛ لكن استفاضت الآثار عن الصَّحابة والتَّابعين في جواز استعمالها، والرُّخصة في ذلك.
- تعدَّدت طرائق الإقراء النبوي، وقد تمثلت في: العرض، والتلقين والسَّماع، وإقراء الصحابة واحدًا واحدًا، وحب استماعه -صلى الله عليه وسلم- للقرآن من أصحاب الأصوات الحسنة.
- هديه- صلى الله عليه وسلم-في التلقين هو عشر آيات، ويزاد عليه للمتصدرين المجيدين.
- اختيار الإمام الداني لمن طلب قراءة التحقيق والإتقان أن لا يزاد على عشر آيات،
- اختيار الإمام الداني في حال التلقين أن لا يزيد الملقِّن على خمس آيات.
- اختيار الإمام الداني لمن قرأ على شيخه بمرتبة الحدر أن لا يزيد على حزب من الأحزاب الستين.

- ذهب كثير من العلماء إلى أن الضابط في تحديد المقدار القرآني؛ إنَّما يكون بحسب قوة الآخذ وضعفه، ويعود إلى رأي الشيخ بأهليَّة الطالب وإجادته،

وبعد: فهذا جهد المقل، ويبقى المؤمَّلُ عفو كل من ألقى نظرة فيه، أو استدرك عليه.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

أهم المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ط١، ١٣٩٤هـ.
- الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد مجقان الجزائري، دار المغني، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق وإشراف الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد.
- الأعلام، خير الدين بن محمود ، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي بن الباذش ، تحقيق: الدكتور. عبدالمجيد قطامش، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.
- الانتصار للقرآن، القاضي أبو بكر الباقلاني، تحقيق د. محمد عصام القضاة، دار الفتح، الأردن، عمان، ودار حزم، لنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، لبنان، بيروت،بدون رقم وتاريخ الطبع.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة ، ط١، ١٣٧٦هـ .
- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، تحقيق: الدكتور. غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط١٤١٤،١هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٧هـ.
- تجويد اللفظ في قراءة القرآن الكريم في القرون الخمسة الأولى، حسين بن سعد المطيري، نشر كرسي تعليم القرآن الكريم وإقرائه، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٣٤هـ.
- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، تحقيق: د. غانم قدوري، دار عمار، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تحقيق: د. علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٥هـ.
- جامع البيان في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، تحقيق:مجموعة من الباحثين في جامعة أم القرى، طبع كلية الدراسات العليا والبحث بجامعة الشارقة، الإمارات، ط١، ١٤٢٨هـ.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)،أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد بن محمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- الجامع المفيد في صناعة التجويد، لزين الدين السنهوري، تحقيق:د. مولاي محمد الطاهري، دار ابن حزم، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تصحيح: أحمد بن عبدالعليم البردوني، دار الكتاب العربي، ط٢.
- جمال القراء وكمال القراء، علي محمد السخاوي، تحقيق: د.علي البواب، مكتبة التراث، مكة، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون رقم وتاريخ الطبع.
- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ .
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن عمر مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ .
- شرح القصيدة الخاقانية، أبو عمرو الداني، تحقيق: غازي العمري، أطروحة ماجستير، إشراف د. محمد سيدي ولد الحبيب، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى،١٤١٨هـ.
- شرح المقدمة الجزرية، د. غانم قدروي، معهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، لبنان، بيروت،ط١، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت،بدون رقم وتاريخ الطبع.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق د. محمود الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤١٣هـ.
- طبقات الشافعيين، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي،تحقيق د. أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- غاية النهاية في طبقات القراء، أبو الخير محمد بن يوسف الجزري، عني بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ:عبد العزيز ابن باز، ومحب الدين الخطيب، دار الفكر.
- كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، تحقيق: الشيخ جمال الدين شرف، دار الصحابة، طنطا، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مطبوعات مجمع الملك فهد، ط١، ١٤٣٤هـ.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز،أبو شامة المقدسي، تحقيق د. طيار آلتي قولاج، دار صادر، لبنان، بيروت ، ١٣٩٥ هـ .
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
- مسند الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني،

دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٢ه.
- المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، أبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، تحقيق: د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة، بيروت، السعودية، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ.
- معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، للدكتور عبد العلي المسئول، دار السلام، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٨هـ.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. طيار آلتي قولاج، مركز البحوث الإسلامية، تركيا، استنبول، ط١، ١٤١٦هـ.
- المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، ملا علي سلطان القاري، عناية:راشد الخليلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي، تحقيق: د. غانم قدوري، دار عمار، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣١هـ.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، تحقيق: أ.د السالم الجكني، مطبوعات مجمع الملك فهد، المدينة، السعودية، ط١، ١٤٣٥هـ.
- نهاية القول المفيد في علم التجويد، محمد مكي الجريسي، تدقيق: أحمد بن علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ.
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي، نشر دار الفجر الإسلامية، المدينة، السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ.
- الوجيز في شرح قراءات القراء الثمان، أبو علي الأهوازي، تحقيق: جمال الدين شرف، دار الصحابة، طنطا، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ.
- وفيات الأعيان، أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، لبنان.

ثانياً : المراجع الإلكترونية:

- المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ملتقى أهل الحديث.